

فخر الشواعر بين الاغتراب والألفة

Poetesses' pride between alienation and
intimacy

أ. هنيذة قصد الله

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
تونس

huneidakasdallah@gmail.com



فخر الشواعر بين الاغتراب والألفة

أ. هنيذة قصد الله

الملخص:

كثيرا ما شغلنا التفكير في تعالق ممكن بين الذوات الاجتماعية الموسومة جنسيا وبين معان يتعاورها الشعراء والشواعر. وقد اخترنا تجريب ذلك على فخر حُفظ لشواعر جاهليات وإسلاميات. فبحثنا عن نصيب المرأة/ الشاعرة من الدال اللغوي للفخر. واستنطقنا نماذج للفارس البطل في صورة تأنيث. ثم نظرنا إلى نصوص الفخر وقد تحقّق بصوت "مؤنّث" ليتجلّى الاغتراب نسبا وبطولة وقيما. دون أن يُخرس ألفة تعتد بالجسد المؤنث وتتمرّد على سلطة الذكر.

فيبدو التعالق بين النصّ الفخريّ وصاحبه تأنيثا ينغرز في جسد النصّ شاهدا على تأنيث المنشدة له. ذلك أنّ الأنوثة والذكورة وسم جنسيّ يتحقّق موقعا اجتماعيا منه تنطق الشواعر وينطق الشعراء كذلك، في سياق ثقافيّ مخصوص. والنصّ الشعريّ مجال تفاوض مع معايير إبداعية ولكنّه نصّ منفتح على معايير ثقافية مختلفة متغيرة من بينها معيار الغيرية الجنسية.

كلمات مفاتيح: فخر الشواعر-الأنوثة-الذكورة-الاجتراب-الألفة.

Abstract:

Can we talk about possible interactions between sexed social subjects and meanings that poets and poetesses convey in their poems?

We chose to study these interactions in the theme of pride expressed by poetesses of both pagan and Islamic periods. So, we searched for women's share in the linguistic root related to pride. Then, we dissected prototypes of the knight in a female version. After that, we read up the texts about pride to make alienation show up in the form of family ties, heroicism and norms, without silencing the intimacy that is proud of the female body and rebels against male authority. It seems that the interactions between the pride poetry and its creator is femininity embedded in the body of the text as a witness of the poet's presence. As a matter of fact, femininity and masculinity form a sexual mark that defines the social status from which poets and poetesses have been pronounced.

Keywords: Poetesses Pride-Femininity- Masculinity- Alienation- Intimacy.

1- مقدمة:

القول إنّ المرأة لم تخلق إلا لتكون جزءة لفقد ذومها بكّاءة في مراتها، حُكم غلب على الدرس النقديّ القديم وتواصل مع العديد من الدراسات الحديثة.¹ واللافت للانتباه أنّ هذا التقريب بين الشواعر والثناء يُقدّم باعتباره مسلّمة تقوّم عليها الدرس النقديّ العربيّ القديم منذ بداياته.² والجال أنّ النواة المؤسّسة لهذه المسلّمة أوغل قدما في الزمن وأكثر ارتدادا في الوعي الجمعيّ العربيّ القديم.³ إذ تعود لجملة من الأسباب الموضوعيّة. نقتصر على اثنين منها: أولهما مشدود إلى اضطلاع قديم للمرأة بوظيفة النواح.⁴ ثانيهما موصول باليّة اشتغال الذاكرة الجماعيّة حفظا وتدوينا. وهذا بذالك موصول. فذاكرة الجماعة ذاكرة تصنّف. ولما كان التصنيف ترابا وكلّ تراب تفاضل، ألفينا الشعر المهتمّ بذكور القبيلة، أسيادها وفرسانها، أدخل في بناء الذاكرة الرسميّة للجماعة من الشعر المهتمّ بنساءها وأطفالها وعبيدها مثلا. ويبدو أنّه في هذه المساحة المعتمة سقطت العديد من النصوص الشعريّة. ولم يسلم تدوين الشعر النسائيّ من عنف فرز جعل جزءا منه لا يتجاوز الحرمّ لأنّه ههددة طفل أو هجاء زوج أو شكوى آناء ليل. وسلم من شعر النساء ما تعلق بأذيال رمزيّة للذكور وتقاطع مع حيواتهم.

وإذا نظرنا إلى الشعر من زاوية الذوات الاجتماعيّة المنتجة له والذوات الاجتماعيّة الدائر عليها، بدا لنا ضرب من التواشج بين رصيد رمزيّ، تتملكه الذوات الاجتماعيّة أو يسمح لها بتملكه، وبين معان متعاورة بين الشعراء والشواعر.⁵ لذلك فإننا نروم تجريب البحث عن تواشج مزعوم بين رصيد رمزيّ للذوات المؤنثة وبين معان أتت عليها الشواعر في غرض الفخر. فالفخر الغرض الذي يُشرع علنا باب القول على مصراعيه أمام الشاعر-الشاعرة ذاتا متكلمة عن ذاتها.⁶ والفخر أكثر الأغراض رواجاً عند عرب الجاهليّة. ارتبط بخصائص البيئة البدويّة وبمميّزات مجتمع وثنيّ آمن ببطولة متحقّقة الآن وهنا على مرآى الجميع ومسمعهم. علاوة على أنّ قراءة تدّعي مراعاة التعالق بين الشاعر-الشاعرة، باعتباره-اعتبارها ذاتا، وبين

1- القيرواني (ابن رشيق)، العمدة في محاسن الشعر وأدابه، تحقيق محمد قرقزان، لبنان، دار المعرفة، 1988، 817/2.

- خليف (مي يوسف)، الشعر النسائيّ في أدبنا القديم، مصر، مكتبة غريب، دت، ص 100.

2- الضبيّ (المفضّل)، الفضليات، تحقيق أحمد محمّد شاكر وعبد السلام محمّد هارون، ط 6، دار المعارف، لبنان، ص 273-274. الأصمعيّ (أبو سعيد)، الأصمعيّات، تحقيق أحمد محمّد شاكر وعبد السلام محمّد هارون، ط 5، لبنان، دت، ص 101-104. الجهمي (ابن سلام)، طبقات الشعراء، دار الكتب العلميّة، لبنان، 2001، ص 82. المبرد (محمّد)، التعازي والمراثي والمواظ والوصايا، تحقيق محمّد حسن الجبل، مراجعة محمود سالم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دت، ص 117.

3- المسعودي (أبو الحسن)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 2005، 126-125/2.

4- عبد السلام (محمّد)، الموت في الشعر العربيّ، ترجمة مبروك المتّاعي، مراجعة حمّادي صمّود، معهد تونس للترجمة، تونس، 2017، ص 106-107.

5- القيرواني (ابن رشيق)، العمدة، مرجع سابق، 819/2: "من أشدّ الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلا أو امرأة، لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات".

6- المرجع نفسه، 798-797/2: "الافتخار هو المدح بعينه، إلا أنّ الشاعر يخصّ به نفسه وقومه، فكلّ ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكلّ ما قبح فيه قبح في الافتخار".

الشعر باعتباره أهم نشاط تخيليّ عند العرب القدامى، تشغل بالتفكير في نصيب الشاعرة-امرأة، من الفخر، ونصيب المرأة-شاعرة، من الفحولة.

وفي نطاق النبش عن تراشح بين هويّة ثقافيّة تتملّكها المرأة، بحكم انتمائها إلى الجماعة، وبين رصيد هويّ فخريّ تعاقدت عليه الجماعة، وجعلته مثلاً ومثالاً، رأينا الوقوف عند:

الشحنة الدلاليّة لدال الفخر سعياً إلى تطويق نصيب المرأة الشاعرة منه. والحفر في أخبار مثل استهياميّة مرشحة للفخر. ثمّ استقراء نصوص فخر الشواعر ومحاصرة وجوه الذاتيّة فيها، إن وُجدت. وإلاّ فهو الاغتراب.

2- الفخر بين لسان العرب وفرسانها الإناث:

1-2- ذكورة الفخر:

الفخر دال لغويّ في لسان القوم قبل أن يجري شعراً على لسان الشاعرة. ذلك أنّ "اللغة-وخصوصاً المستوى المعجميّ منها-تبدو بمثابة الواقعة الثقافيّة المتميّزة، وذلك لعدّة أسباب، أولاً: لأنّ اللغة جزء من الثقافة، فهي إحدى الاستعدادات التي نتلقاها من التراث المحيط بها، وثانياً: لأنّ اللغة هي الأداة الأساسيّة والوسيلة الممتازة التي تتمثّل بواسطتها المجموعة التي تنتمي إليها...وثالثاً: لأنّ اللغة هي أكثر مظاهر النظام الحضاريّ اكتمالاً".¹ تبدو النواة الدلاليّة للدال [ف، خ، ر] منحصرة في معنى "الجيد من كلّ شيء".² ويحاصر معنى الجودة في عالم الإنسان. ويضبط في عالميّ الحيوان والنبات. ولا نعدم تلويّن فيه من بلاغة إنشاء العالم شيء كثير، قبل أن يكون بلاغة إنشاء لغة العالم. فمن بلاغة تصوّر العالم ترتيبه. ومن علامات ذلك تصدّر المعنى المتعلّق بالإنسان-الذکر المادّة المعجميّة، ووقوف المرأة على تخوم الدال. وإن تركت لها بعض المسالك إلى الفخر. منها يستمدّ فخر النساء معقوليّته.

فنلقي مسلكين مرتبطين بالجسد المؤنّث. يحييان صلة الجسد بالجسد. أولهما يستحضر الجسد المنتج للأجساد.³ وثانيهما يستدعيّ الجسد الموقرّ للمتمعة.⁴ إنّ الجسد المؤنّث بؤابة الفخر المتاحة ليفتخر بذاته جسداً جميلاً، أو ليفتخر بالأجساد المتولّدة عنه. ولم لا بالأجساد المتولّد عنها أيضاً.⁵

1- الجزائر (محمد فكري)، معجم الوأد: النزعة الذكوريّة في المعجم العربيّ، في تحليل الخطاب المعجميّ، مصر، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص 28.

2- ابن منظور، اللسان، دار صادر، دت، 139/11، مادة [ف، خ، ر].

3- المرجع نفسه، نفس الصفحة: "أفخرت المرأة إذا لم تلد إلاّ فخراً".

4- المرجع نفسه، نفس الصفحة: "ما حضر في قول الراجز: "إنّ لنا جارة فناخره تكدحُ للدنيا وتنسى الآخرة" وحده الشارح بقوله: "هي المرأة التي تندرج في مشيتها".

5- المرجع نفسه، 139-138/11، مادة [ف، خ، ر]: الفخر "التمدح بالخصال وعدّ القديم...الفخر ادعاء العظم والكبر والشرف...الفخار نشر المناقب وذكر الكرام بالكرم...المفخرة والمفخرة المأثرة وما فخر به".

ومادامت قيم الجماعة هي قيم كلّ الجماعة كسبا أو خرقا، فقد احتاجت هذه القيم المأثورة والمناقب المشهورة التنازع عليها وإليها.¹ فيكون الانتقال من القيميّ إلى السلوكي، وما يقتضيه -ذاك السلوك- من تدافع وتصارع، وما يستدعيانه من ركح اجتماعيّ فيه يتحقّق الاعتراف بالغالب والمغلب. فالأفعال المرتبطة بالشرف والجلد والمنطق أفعال ذكور، بل بعض الذكور. لهذه المعاني صدى في دال [ذ،ك،ر].² و"يفرض الواجب على كلّ رجل تأكيد رجولته في كلّ الظروف... فإنّ الرجل "حقيقة رجلا"، هو ذلك الذي يشعر بأنّه ملزم بأن يكون في مستوى الإمكانية التي أتاحت له لزيادة شرفه في البحث عن المجد والتميّز في المجال العام".³ هكذا يحمل دال الفخر شحنة جندريّة ترشّح الشعراء للفخر بالطارف والتليد.

2-2- أنتّ الفرسان:

تواتر القول بمشاركة المرأة منذ الجاهليّة في الحروب.⁴ وتبدو مشاركتها أوسع من ضرب بالهراوة ورمي بالحجارة.⁵ ويبدو نموذج الفارس المؤنث حاضرا في المجتمع العربيّ القديم، وإنّ بسمات مخصوصة، نحاول استجلاءها من خلال مثالين: مثال الجارية في زيّ الفارس،⁶ ومثال خولة بنت الأزور.⁷

- 1- المرجع نفسه، 138، 11-139، مادة [ف، خ، ر]: "تفاخر القوم: فخر بعضهم على بعض [و] فاخره مفاخرة وفخارا: عارضه بالفخر... فاخره ففخره يفخر فخرا: كان أفخر منه وأكرم أبا وأما... فخر فلان اليوم على فلان في الشرف والجلد والمنطق أي فضل عليه... [و] الفخير: المغلوب بالفخر... ويقال: إنّه لذوا فخرة عليهم أي فخر".
- 2- المرجع نفسه، 36/5-37، مادة [ذ، ك، ر]: رجل ذكر إذا كان قويا شجاعا أنفا أيّا" و"قول ذكر: صلبّ متين، وشعر ذكر: فحلّ". و"الذُكر: الشرف والصيت... والذُكر: الصيت والثناء".
- 3- بورديو (بيار)، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، مراجعة ماهر تريمش، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، 2009، ص 83-84.
- 4- الحوفي (أحمد)، المرأة في الشعر الجاهليّ، ط2، مصر، دار الفكر العربيّ، دت، "فصل المرأة المحاربة"، ص 444.
- 5- الواقدي (محمد)، فتوح الشام، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، لبنان، دار الكتب العلميّة، 1997، 47/1 تقول عفرة بنت غفّار الحميريّة: "لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام، ووالله لقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل".
- 6- الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، تحقيق إحسان عبّاس، إبراهيم السعافين، بكر عبّاس، ط3، لبنان، دار صادر، 2008، 119/120: "فبيننا أنا كذلك إذ سطع غبار من ناحية الحيّ ورفعت لي شخوص ثلاثة. ثمّ تبيّنت فإذا فارس يطرد مسحلا وأتانا فتأمّلته فإذا عليه درع أصفر وعمامة خزّ سوداء، وإذا شعره تضرب خصريه. فقلت: غلام حديث عهد بعرس أعجلته لذّة الصيّد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته. فما جاز عليّ حتّى طعن المسحل وثنى طعنة للأتان فصرعهما. وأقبل راجعا نحوي وهو يقول: نطعنهم سلّكي ومخجولة كركّ لأمّين على نابل [الرجز]... ثمّ قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثمّ رجع. قال: فبرقت لي بارقة تحت الدرع، فإذا ثدي كأنّه حُقّ عاج. فقلت: نشدتك الله امرأة؟ قالت: إي والله، إلاّ أنّي أكره العشير وأحبّ الغزل. ثمّ جلست وجعلت تشرب معي ما أفقد من أنسها شيئا... فما لبثت إلاّ يسيرا حتّى انتبهت فزعة، فلاثت عمّامتها برأسها، وجالت في متن فرسها، وقالت: جزاك الله عن الصحبة خيرا. قلت: أما ترؤديني منك زادا؟ فناولتني يدها، فقبلتها فشممت والله منها ريح المسك المفتوت. قلت: وأين الموعود؟ قالت: إنّ لي إخوة شرسا وأبا غيورا. ووالله لأنّ أسرك أحبّ إليّ من أن أضرك، ثمّ انصرفت".
- 7- الواقدي (محمد)، فتوح الشام، مرجع سابق، 40/1-41: "إذ نظر [خالد بن الوليد] إلى فارس على فرس طويل وبيده رمح طويل وهو لا يبين منه إلاّ الحدق والفروسيّة تلوح من شمائله وعليه ثياب سود وقد تظاهر بها فوق لامته وقد خرّم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره ومن ورائه وقد سبق الناس كأنّه نار، فلما نظر خالد قال: ليت شعري من هذا الفارس وأيم الله إنّه لفارس شجاع... ونظر إلى الفارس الذي وصفناه وقد حمل على عساكر الرّوم كأنّه النار المحرقة فزعزع كتابهم وحطّم مواكبهم، ثمّ غاب في وسطهم فما كانت إلاّ جولة الجائل حتّى خرج وسنانه ملطّخ بالدماء من الرّوم. وقد قتل رجالا وجندلا وأبطالا وعرض نفسه للهلاك... قال فتأمّله فرأوه قد تخضّب بالدماء فصاح خالد والمسلمون: لله درك من فارس... أكشف لنا عن لثامك. قال: فمال عنهم

ورد أول المثالين ضمن مشهد طردِيّ. وورد ثانيهما ضمن مشهد حربيّ. واشتركا في الكشف عن سمات الفارس وآليّة تشكّله. ذلك أنّ مثال الفارس المؤنث لا يتحقّق إلاّ بفعل التنكّر والتعظيم الهويّ.

وينجم الفارس حين يطمس أمارات التأنيث في جسده. فصور "غلاما... ترك ثوبه ولبس ثوب امرأته"¹ وبدا "فارسا لا يبين منه إلاّ الحدق"². لقد سمحت عتمة الهوية الجنسيّة للفارس المؤنث بتمكّن أدوات الفارس (فرس، سيف، رمح، درع). وخوّلت له تجريب أفعاله. فإذا بالجارية تطارد وتطعن وتصرع. وإذا بابنة الأزور تززع كتائب الرّوم وتحطّم مواكبهم.

أتاحت العتمة الهويّة للمرأة الفارس فرصة تجريب هويّة الفارس ومناسبة اختبار الفروسية. فتحلّت بصفات الفارس. ورآها الحضور الفارس الشجاع والرّجل الكريم. فنظروا إليها بعين التعظيم. ويظلّ وجود مثال الفارس المؤنث رهين ضبابيّة هويّة. فإذا تجلّت هويّة الجسد انجلى كلّ حلّ بالفروسية وبطلت أفعالها. ذلك أنّ التعرّف إلى التأنيث في هويّة الفارس يسقط حجب التأنيث. ويظهر علاماته للعيان. "قال: فبرقت لي بارقة تحت الدرع، فإذا ثديّ كأنّه حُقّ عاج. فقلت: نشدتك الله امرأة؟ قالت: إي والله"³. حينها يستبدل الالتباس الهويّ بحقيقة هويّة، تعقلن هويّة الفارس عبر تصنيفها بين الإناث. فيحلّ الحياء بديلا من الاندفاع. و"نتبين أنّ العلاقة بين الذكورة والأنوثة قائمة على عرض ركحيّ، وأنّ الاختلاف مبنيّ على لعبة الستر والكشف"⁴. لقد كشف التخصيص الجنديّ لهويّة الفارس المؤنث إدراكا مشتركا. هو الغيرة تتبناها الذات وبها تشكّل وعيا بذاتها وبالآخر، وبموجها تحوّل الفارس من موقع لدّة الطرد إلى موقع لدّة الطريدة، ومن موقع التذكير إلى موقع التأنيث. فعلا صوت الجارية معلنا حبّه الغزل⁵ حين ثبتت أنوثة الجسد. بل أعلن صوت الجارية تموقعه ضمن غيريّة مذكرة، التأنيث فيها تكليف اجتماعيّ تمثّل المرأة فيه "الشرف سلبيا في جوهره [كذا]، ولا يمكن إلاّ الدفاع عنه أو خسارته"⁶.

ولم يخاطبهم وانغمس في الرّوم... فلما بعد عن خالد سار إليه بنفسه وقال له: ويحك لقد شغلت قلوب النّاس وقلبي لفعلك، من أنت؟ قال: فلما لجّ عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث، وقال: إنّي يا أمير المؤمنين لم أعرض عنك إلاّ حياء منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور، وإنّما حملني على ذلك أنّي محرقة الكبد زائدة الكمد. فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا خولة بنت الأزور المأسور بيد المشركين أخي وهو ضرار وإنّي كنت مع بنات العرب وقد أتاني الساعي بأنّ ضرار أسير فركبت وفعلت ما فعلت...".

1- الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، مرجع سابق، 11/119.

2- الواقدي (محمّد)، فتوح الشّام، مرجع سابق، 1/40.

3- الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، مرجع سابق، 11/120.

4- قرامي (آمال)، الاختلاف في الثقافة العربيّة الإسلاميّة، دراسة جنديّة، لبنان، دار المدار الإسلاميّ، 2007، ص 940.

5- ابن سلامة (رجاء)، العشق والكتابة قراءة في الموروث، ألمانيا، منشورات الجمل، 2003، ص 346-347.

6- بورديو (بيار)، الهيمنة الذكوريّة، مرجع سابق، ص 84.

فاستدعت الجارية الذكور من قومها¹ وألمحت إلى اللذة.² ولم تختلف ابنة الأزور بما استدعته من معاني الكنّ والقرّ المذكّرة بثنائية الداخل المؤنث والخارج المذكّر.³

لذلك رأينا الخبرين حاملين لسمات ثاوية في عمق التمثيلات المؤسّسة للذات المؤنثة قديما. نجملها في:-
وثيق ارتباط بالفضاء الداخليّ جعل التلبّث بالمكان حكم الذات المؤنثة، وجعل حركتها في الفضاء الخارجيّ متحقّقة برخصة مذكّرة وتحت عين الذكورة، فاستئذنان ابنة الأزور ابن الوليد في الالتحاق بجيش عميرة بن رافع، واستحضار الجارية الإخوة الشرس والأب الغيور، حدثا إثر ثبوت تأنيث الجسد أمام الآخر المذكّر. وأبطلا ضربا في الأرض حين كان الجسد متشبّها بالذکر.

- عرضيّة الانخراط في الفعل العنيف صيدا وحرّيا يشهد أنّهما ليسا ممّا تطالب بهما الأنثى، وليسا من الأفعال المؤسّسة لسماتها الهويّة، وأنّ الصيد والحرب معياران في الذكورة راسخان.

- صمّت الفارسيين المؤنّثين عن الافتخار ببطولة الصيد والحرب، وارتدادهما إلى مركزيّة الصوت المذكّر، لتنشد الجارية بيت امرئ القيس،⁴ وترتدّ ابنة الأزور إلى مثال البكاء.⁵ وكانّ بالصمت عن البطولة أمانة استلاب، ودليل اغتراب هويّ، يعطلّ الصوت المؤنّث. فلا ينشد ذاتا يعي غريبتها، ويدرك زيف تمثّلاتها.⁶

3- الشاعرة المفتخرة:

لمّا كان وكدنا تقصّ للتمثّلات الثقافية المترجمة عن ذات مفتخرة "مؤنّثة"، فقد سعينا إلى تحديد موقع الشاعرة المفتخرة انطلاقا ممّا افتخرت به. فبدا لنا أنّ قسما هاما من معاني الفخر عند الشواعر يؤسّس صورة لذات مغتربة:

1- الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، مرجع سابق، 120/11: "إنّ لي إخوة شرسا وأبا غيورا".

2- المرجع نفسه، نفس الصفحة: "ووالله لأنّ أسرك أحبّ إليّ من أن أضرك".

3-Bourdieu (Pierre), Le sens pratique, Paris, Les éditions de Minuit, 1980, p354, « Le schéma synoptique des oppositions pertinentes ».

4- ديوان امرئ القيس، تحقيق حتّا الفاخوري، لبنان، دار الجيل، 1949، ص253-251: من قصيدة يفخر فيها بإيقاعه بأحياء من

بني أسد، مطلعها: يَا دَارَ مَاوِيَّةَ بِالْحَائِلِ فَالسَّهْبِ فَالْحَبَّتَيْنِ مِنْ عَاقِلٍ [السريع]

5- الحيايالي (ليلي)، معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام، مكتبة ناشرون لبنان، 1999، ص83-87، الأبيات المنسوبة لخولة

بنت الأزور والقصائد الثلاث متجدّرة في تقليد شعريّ نسائيّ بين حتّ الرجال على الذود عن الجسد المؤنّث وبين بكاء مفقوديّ

الحرب. انظر في هذا السياق: الواقدي (محمّد)، فتوح الشام، مرجع سابق، 48/2. منصور (جميل)، معجم شاعرات العرب، دار

البشائر، سورية، 2010، 70-69/1. شمس الدين (إبراهيم)، مجموع أيام العرب في الجاهليّة والإسلام، دار الكتب العلميّة، لبنان،

2002، ص159.

6- الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، مرجع سابق، 196/4: "قال: كان الدلال ملازما لأمّ سعيد الأسميّة وبنت يحيى ابن الحكم بن أبي

العاصي، وكانتا من أمجن النساء، كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتسابقان عليهما حتّى تبدو خلاخيلهما. فقال معاوية لمروان بن

الحكم: إكفني بنت أخيك. فقال: أفعّل. فاستزارها وأمر ببئر فحفرت في طريقها، وغطّيت بحصير فلما مشت عليها سقطت في البئر

فكانت قبرها".

3-1- الاغتراب في فخر الشواعر:

بدأت الشاعرة واقعة موقع اغتراب. فهي لا تأتي الفعل المولّد للفخر. ولا يمكنها تبعاً لذلك الاتّصاف بصفات الفخر والتحليّ بقيمه. وإن افتخرت فتظلّ المسافة قائمة بين معاني الفخر المستدعاة وبين تحليّ الشاعرة بها. ويمكن أن نرصد هذا الاغتراب في ثلاثة مستويات، دلّت عليها فخريات النساء: أوّلها اغتراب في مستوى النّسب. وثانيها اغتراب في مستوى الفعل البطوليّ. وثالثها اغتراب في مستوى القيم. وقد اخترنا عرض المستويين الأوّلين من الاغتراب، وتأجيل النظر في الاغتراب القيميّ، باعتبار أنّ القيم ناظمة لكلّ سلوك والمعايير قابعة وراء كلّ تمثّل للذات.

أ- الاغتراب في مستوى النّسب:

مثّل الافتخار برفعة النّسب وصفاء الدم معنى من المعاني المتداولة في فخريات العرب القدامى.¹ ولم تحد الشواعر عن جادة الطّريق. فتواتر على السنن الاعتزاز بالنّسب والتفاخر به. فهذه الحمراء بنت ضمرة² ترتجز أمام عمرو بن هند حين ظلّها أعجميّة: [الرجز]

إني بنت ضمرة بن جابر
ساد معداً كابرا عن كابر
إني لأخت ضمرة بن ضمرة
إذا لُفعت البلادُ بجمرة³

وكذلك أنشدت امرأة من عقيل، أهمل الرواة اسمها، فشفع لها الذكور المفتخر بهم: [مشطور الرجز]

حيدرة خالي ولقيطٌ وعلي
وحاتم الطائيُّ وهابُ المئي⁴

1- الحوفي (أحمد)، المرأة في الشعر الجاهليّ، مرجع سابق، ص 79: "أكرم العرب بأن يفخروا بنسبهم، وبأن يشيدوا بأبائهم، وأولعوا أيضاً بأن يباهوا بأمهاتهم، ويزهوا بحريّتهم، وعراقة نسبهم".

2- شعر بني تميم، جمع وتحقيق عبد الحميد محمود المعيني، منشورات نادي القصص الأدبيّ، 1982، هامش ص 306: "الحمراء بنت ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم...نشأت في بيت عريق في الشرف والسؤدد. أبوها ضمرة بن جابر وجدّها جابر بن قطن وأخوها ضمرة بن ضمرة، وكلّهم سادة شعراء. وزوجها هودة بن جرول بن نهشل بن دارم".

3- المرجع نفسه، ص 306.

4- شعراء بني عقيل وشعرهم في الجاهليّة والإسلام حتّى آخر العصر الأمويّ، جمع وتحقيق عبد العزيز بن محمّد الفيصل، دار النشر العبيكان للطباعة والنشر، السّعوديّة، 1985، 213/2.

وكما نوّع الشعراء في الافتخار بالنّسب، فألحقوا الافتخار بالأمّ بالفخر بالنسب الأبويّ، وجعلوه من المعاني الثواني التي تعزّز صفاء النّسب وتؤكّده،¹ افتخرت المرأة بأُمّها. فتفرّدت زينب بنت فروة² بقطعتين في الغرض.³ فكانت الشاعرة الوحيدة التي عقدت صلة بين الأنثى والأنثى في سياق فخريّ. والشاعرة الوحيدة التي خرجت بالأمّ من هامشيّة الفخر في القول الشعريّ وعليه أجرت مقطّعتين. أنشدت في إحداهما: إن ابنة الدهقان كسرى تُنوّلت بطعن الكماة واختلاس المعابل [الطويل]

ولم تُخطَفُ أُمِّي على غيرِ ثُلَّةٍ ولم تُختَطَفُ إلاّ بطعنِ المقاتلِ
منَ اللابساتِ الرِيطِ زهراء لم تبتْ تحشُّ مع الأُمِّي وقودَ المِراجِلِ
ولم يُرَ في أفناءٍ مرّةً مثَلُها ولا عندَ قيسٍ غنيمَةً قافلٍ⁴

لقد حاولت الشاعرة المفتخرة التذكير في النّسب. وحفرت في مقولة التذكير موضعا لتأنيث، علامته الأمّ. فجعلت من أمّها الفارسيّة سبيّة القبائل العربيّة محلّ فخر حقيقيّ. ذلك أنّ ابنة فروة عادت إلى انتماءين محدّدين للأمّ. عليهما أسّست صورة الأمّ. وبتعاطف البنات مع الأمّ السبيّة، ومؤازرة الأنثى للأنثى، نشأت خصوصيّة الفخريّة. فراكبت الشاعرة بين أصليين هويين في الأمّ: أصل أول "أصليّ" ابنة الدهقان كسرى". وأصل ثان "لاحق" سبيّة غنمت قوّة وعنوة.

وقد حرصت الشاعرة على إنشاء عالم ذكورة حصين منيع. جعل الأمّ محصّنة بين قومها، عزيزة بين أهلها. وجعل من انتقالها من الفرس إلى العرب انتزاعا عنيفا. أشّرت عليه بطعن الكماة واختلاس المعابل وطعن المقاتل. وعزّزت الشاعرة رفعة الأمّ حين أشارت إلى بياض العتق وعدم الامتّهان. فحافظت على أصل رفيع فيما حوّل لها التفوّق على كلّ سببايا العرب من مرّة وقيس.

وبإقرار تفوّق الأمّ، نُقرّ تفوّق الشاعرة حين نظرت بعين التأنيث إلى قيمة النّسب المذكّرة. وجعلت التأنيث يخرقها فتتشظّى. وتعيد الشاعرة إنشاءها بيد مؤنّثة. تنشئ قيم الذكورة لتضمّد جراح الأمّ الجارية سليلة الفرس سبيّة العرب. لقد افتخرت الشاعرة بنسبها. فكان نسبا ذكوريا وإن عاد إلى الخوولة أو إلى الأمّ مباشرة، وإن أعادت إنشاءه. وبدت في خضمّ ذلك معبّرة عن أمرين:

- وعي أنّ النسب الذكوريّ قيمة من بين قيم آخر تأسّست عليها معياريّة المجتمع العربيّ القديم. لذلك تعاورها الشعراء وتعاورتها الشواعر، فخرا حيناً وهجاء أحيانا.

1- الحوفي (أحمد)، المرأة في الشعر الجاهليّ، مرجع سابق، ص 80: "وقد جمع المقدم بن زيد سيد بني حي بن خولان فخره بأمه إلى فخره لأبيه في قوله: نَمُنّا إلى عمرو عروقٍ كريمةٍ وخُلانٍ معقودٍ المكارم والحمد [الطويل]"

وأُمِّي ذات الخير بنتُ ربيعةِ ضريّة من عيصِ السماحة والمجد

2- ابن طيفور (أحمد)، كتاب بلاغات النساء، مطبعة مدرسة والده عبّاس الأول، مصر، 1908، ص 182: "زينب بنت فروة بن سنان بن عنمة إحدى بني تميم بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان".

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسه.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسه.

– قدرة على التلاعب بقيمة النسب المذكور، بين اعتراف بأحادية ذكورته، وبين نحت مكان للأنوثة فيه. أنوثة ذكيرة تأخذ هزة ومخاتلة في غير منح.

ب- الاغتراب في مستوى الفعل البطولي:

يقترن الفعل البطولي بالحرب خاصة. فالحرب شأن الذكور. وعلى وقائعها نمت أوائل الفخریات. والمها تطرق فخر الشواعر. شفيعين في ذلك انتماء قبلي جعل انتصار القبيلة انتصارهن. فتغنت عفيرة الكلبية¹ بانتصار قومها يوم دهمان² في قصيدة هي أطول فخرية لشاعرة، في حد علمنا، مطلعها: [الوافر]

سَمَت كَلْبٌ إِلَى قَيْسٍ بِجَمْعٍ يَهْدُ مَنَاكِبَ الْأَكْمِ الصِّعَابِ³

وكذلك وصفت جمل الضبابية⁴ انتصار قومها في قصيدة مطلعها: [الوافر]

أَمِيمَةٌ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جُنُنَا بِحَزْمٍ كِرَاءَ ضَاحِيَةٍ نَسُوقُ⁵

ويندرج التطرق إلى الحرب في الفخر النسائي بصورة خاصة ضمن الفخر القبلي، حيث يتعهد الشاعر- الشاعرة بالاشتغال على الرصيد الرمزي للجماعة. وذلك بتحرير الوقائع من شرطيهما الزماني والمكاني، وإدماجهما ضمن الرصيد الرمزي، عبر تثبيت الحدث ضمن الذاكرة الجمعية، وحفظه من إتلاف الذاكرة النساء. غير أن الفخر القبلي غلب على فخر الشواعر. الأمر الذي جعله ضرباً من التفاخر والمفاخرة⁶ مخصوصين. اصطلاحنا عليه باغتراب الفعل البطولي.⁷

❖ الاغتراب إزاء فعل الحرب البطولي:

بدا فخر النساء صوتاً يتراح حين ينخرط في الفخر. صوت يعلن الفخر ويتنازل عنه للفاعلين في الحرب المحققين لمفخرة الجماعة. تواتر الانزياح فكان مؤسساً لذاتية فخر نسائي. وكانت أجلي صورته في فخرية ولادة المهمزية⁸: لولا اتقاء الله قمت بمفخر لا يبلغ الثقلان فيه مقامي [الكامل]

بأبوة في الجاهلية سادة بدوا العلاء أمراء في الإسلام

جادوا فسادوا ما نعين أذاهم لندا هم بدل على الأقوام

1- ديوان شعراء بني كلب بن وبرة، أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام، محمد شفيق البيطار، دار صادر، لبنان، 2002،

561/1: "اسمها عفيرة أو عميرة بنت حسان الشاعر... وهي أخت المنذر بن حسان الشاعر... شاعرة أموية".

2- المرجع نفسه، 565/1: "ودهمان اسم موضع لبني كلب أتاهاهم غمير بن الحباب فاستباح فيهم. وهو يوم دهمان".

3- المرجع نفسه، 563/1-564-565.

4- ابن طيفور (أحمد)، بلاغات النساء، مرجع سابق، ص 175: "جمل الضبابية من بني كلاب".

5- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

6- اللسان، 138-139/11، مادة [ف، خ، ر].

7- ولعل هذا الاغتراب هو ما تلمسه أحمد الحوفي. وقصر عن الإحاطة به، حين حاول تمييز فخر الشعراء من فخر الشواعر قائلاً: "وفخر المرأة على قلته وضعفه ليس فيه من الأنوثة شيء... أما فخر الرجال فقد كان فيه ضرب من الفخر بالقبيلة كلها وحسبها وعددها وثرانها وبطولتها وظفرها ومنعتها، وضرب من الفخر الشخصي". الحوفي (أحمد)، المرأة في الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 644-645.

8- الزركلي (خير الدين)، الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين، لبنان، 2002، 118/8: "توفيت نحو 200 هـ".

قد أنجبوا في السؤددين وأنجبوا بنجابة الأخوال والأعمام
من بالمخاشن وابنه جَوْن ومن بالغز أو بالمهمزين يُسامي
قوم إذا سكتوا تكلم مجدهم عنهم وأخرسَ دون كلّ كلام¹

فبعد الحضور الصريح للذات المتلّفة، وبعد إعلانها القصد إلى الفخر، وبعد جعلها الفخر إليها منسوباً ولمقامها رافعا، بات حظّ الشاعرة الذات المتكلمة، من الفخر بيتا يتيما، مطلع المقطعة. وحضر الجمع الغائبون محلّ الحاضرة مدّعية الفخر، بمجرد استدعائها معاني الفخر والصفات الموجبة له. فسيادة الأعمام والأخوال، جاهليّة وإسلاما، وبذلهم على الأقسام أخرسا كلّ متكلم غير القوم وأنطقا مجدهم. وإذا كانت الشاعرة أحد المتكلمين، بدل القوم وبديلا منهم، فقد ألجم لسانها. إنّها حالة خرس مثقلة بوعي بالذات وافد من خارج القصيدة مستقرّ بها.

لذلك يبدو الفخر بالبطولة في الحرب وبتيان فعل القتل مجازا، وضربا من ضروب الادّعاء. شفيع الشاعرة فيه تماه مع الذات القبليّة حدّ الامحاء. فالكلّ يعلم علم اليقين أن لا يد لها في انتصارات القبيلة. إنّ المثال الوحيد الذي طابق فيه صوت الذات المتلّفة المفتخرة فعل الذات القابضة خارج الفخريّة مثال هند بنت عتبة،² حين أنشدت يوم أحد:³

[الرجز]

شفيتُ من حمزة نفسي بأحدٍ حتّى بقرتُ بطنه عن الكبد⁴

ورغم صدق الضمير المتكلم المؤنث، هذه المرّة، في تملك الفعل العنيف، فقد ظلّ مؤكّدا للحقيقة الاغتراب عن البطولة الحربيّة. وعادة ابنة عتبة، في الفخريّة ذاتها، إلى التموقع ضمن محلّها المؤنث، محلّ الاغتراب. وقدّمت وحشيّ العبد بديلها في الفعل العنيف: [الرجز]

نحنُ جزيناكمُ بيوم بدرٍ والحربُ يومَ الحربِ ذاتُ سُعْرِ

ما كان عن عُتْبة لي من صبرِ أبي وعمي وأخي وصهري

شفيتَ وحشيّ غليلَ صدري شفيتَ نفسي قضيتَ نذري

فشكّرُ وحشيّ على عمري حتّى تُغَيَّبَ أعظمي في قبري⁵

1- المرزباني (محمّد)، أشعار النساء، تحقيق سامي مكي العاني وهلال ناجب، عالم الكتب، مصر، 1995، ص 92.

2- الزركلي (خير الدين)، الأعلام، مرجع سابق، 98/8: "هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف صحابيّة قرشيّة عاليّة الشهرة" توفيت 13هـ/635م.

3- شمس الدين (إبراهيم)، مجموع أيام العرب في الجاهليّة والإسلام، مرجع سابق، ص 156: "في سؤال لسبع خلون منه سنة 3هـ وقيل للتّصف من سؤال".

4- ابن طيفور (أحمد)، بلاغات النساء، مرجع سابق، ص 34.

5- المرجع نفسه، ص 33-34.

وإذ نأخذ هذا الاغتراب مأخذ جيدٍ. ونعتبره علامة ذاتية في فخر الشواعر يقبل الوسم بالنسائي، فلأنه وسم الذات المتكلمة المؤنثة المفتخرة.¹ وقصر التأنيث على نسبة المفظوظ الفخري لقائلته. في حين ظلّ مركز الفخر الذكور الفاعلين في حياة الجماعة المجسمين وجودها الفعلي للعيان.

ولئن كان شرط الفروسية طمس التأنيث في الجسد، في المثال الاستهامي للفارس المؤنث، فإنّ ثبوت تأنيث الجسد المنشد الشعراً حائلٌ دون فخر قد تأسس على منافرة ومفاخرة. لذلك ظلت الشواعر على باب الفخر وعتبته. ولذلك نعتبر أنّ الوقوف على عتبة الفخر هو المعادل الموضوعي لوقوف المرأة على عتبة الحرب.

❖ الاغتراب إزاء فعل البذل البطولي:

من نافل القول إنّ المروءة المُنشدة تُختزل في صورتين، أولى مدارها فعل جاد بؤرته الدلالية الشجاعة، وثانية مدارها فعل لاه بؤرته الدلالية الكرم. من خلالهما حاولنا محاصرة التمثيلات المؤسّسة لفخر النساء في القديم. تبدو الشاعرة واقعة خارجة دائرتيهما في الغالب الأعم. فالشاعرة-امرأة تبكي الموتى ولا تردّهم قتلى.² والشاعرة-امرأة هديّ تُهدى ولا تهدي.³ فالبكاء المثال الأكثر رسوخاً ضمن مبادلات رمزية الشعْر منها. والهديّ المثال الراسخ ضمن رمزية وكدها إنتاج العباد.⁴ لذلك فإنّ الالتفات إلى موقع المنع المؤسّس للذات المؤنثة، قبل أن تتغى بمعاني الكرم والجود، دفعنا إلى الوقوف على اغتراب الشواعر إزاء فعل البذل البطولي. ذلك أنّ النصوص الشعرية المتعرضة للبذل باعتباره فعلاً كريماً وشيمة محمودة، نصوص نذرة إن لم تكن منعدمة.

ففي ما نُسب إلى الشواعر من فخر لم نعثر سوى على قطعتين تأتي فيهما صاحبتاهما على فعل البذل وقيمة الكرم. إحداهما لامرأة سالم بن قحطان⁵ وثانيتها لحبيبة التغلبية⁶. هذان النصان اليتيمان في الفخر بالكرم هما دليل على ما سقط أو أسقط من نصوص شعرية. لكن دون أن يفند ذلك ندرة الفخر بالكرم عند الشواعر وعرضية الوقوف عنده.

1- انظر على سبيل الذكر: ديوان الخرنق، تحقيق واضح الصمد، دار صادر، لبنان، 1995، ص 43-44. ابن طيفور (أحمد)، بلاغات النساء، مرجع سابق، ص 191 [مقطعة عاتكة بنت عبد الله]. الطائي (أبو تَمّام)، ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، لبنان، 1797/2 [مقطعة امرأة من بني مخزوم]. الطائي (أبو تَمّام)، كتاب الوحشيات، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، مصر، ص 66 [مقطعة درة بنت أبي لهب].

2- ابن الأثير (علي)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، 2012، 523/1: "وكان مع لقيط [ابن زرارة] ابنته دختنوس، وكان يغزو بها معه، ويرجع إلى رأيها".

3- اللسان، مرجع سابق، 44/15، مادة [ه، د، ي]. ولعلّ ذلك ما كان ثاويًا وراء حجر الإخوة على غنية بنت عفيف ابن عمرو، أم حاتم الطائي، ومنعها مالها، انظر: القالي (أبو علي)، ذيل الأمالي والنوادر، دار الجيل، لبنان، دت، ص 23. شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام، جمع وتحقيق وفاء فهمي السديوني، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية، 1983، ص 811-812.

4- بورديو (بيار)، الهمنة الذكورية، مرجع سابق، فصل "النساء في اقتصاد المتاع الرمزي"، ص 72.

5- لم نعثر لها على ترجمة.

6- بابتي (عزيرة)، معجم الشعراء الجاهليين، دار صادر، لبنان، 1998، ص 112: "حبيبة بنت عبد العزى بن حذار النَّاصرية، وتدعى أيضاً أم العزراء، أو العوراء، من بني ثعلبة بن سعد بن ذيبيان بن بغيض".

ولعلّ اللافت للانتباه حضور متلازم بين المؤنث والمذكّر في المقطعتين المتعرضتين للبذل. إضافة إلى تجلّي الشاعرة ذاتا متألّفة تنطق بضمير مفرد، وعن تجربة شخصيّة. ولعلّ الضمير أقدر على المخاطلة حين أوهم بانخراط الشاعرة في فعل البذل. فإذا قصرنا نظرنا على أفعال البذل والعطاء يتغيّر الأمر، ليكون نصيب امرأة سالم بن قحطان من قولها قولها: [الطويل]

فأعط ولا تبخل إذا جاء سائل فعندي لها عقلٌ وقد زاحت العلل¹

ونصيب حبيبة التغلبيّة من قولها قولها: [الكامل]

أولي على هلك الطعام أليّة أبدا ولكيّي أيبين فأنشد²

وفي القولين تظّل الشاعرة المفتخرة بكرمها خارج دائرة الكرم وغريبة عن فعل البذل. ذلك أنّ فعل العطاء والمنح ورد في إسناد صريح إلى الزوج "أعط ولا تبخل". واقتصر في النّصّ الثاني على الطعام.

وقد بدا لنا أنّ ثقلا ذكوريًا يستقطب فعل البذل، ويقصره على الذكور، ليجعل الشاعرة مفتخرة بما ليس منها. فالعطيّة في مقطّعة امرأة سالم، حين كان فعل البذل منجزا مذكّرًا، كانت أقرب إلى التذكير. والعطيّة في مقطّعة حبيبة التغلبيّة، حين كان فعل البذل منجزا مؤنثًا، كانت أقرب إلى التأنيث.

فالإبل المبذولة للسائل إبل الزوج وملكه. وهي تستحضر مفهوم الثروة.³ وتختصرها فتجعلها ملكا يتصرّف فيه الزوج دون الزوجة. في حين أنّ الطعام لصيق بالمرأة إعدادا وطهوا.⁴

وتحضر الشاعرة المفتخرة عرضا في سياق الكرم. وتأتي فعل البذل محاكاة لأصل مذكّر. فقد جاءت مقطّعة امرأة سالم بن قحطان ردّا على عتاب الزوج. وتقليدا لفعله. به تحوّلت الشاعرة عن مثال اللاتمة في الكرم، دون أن تتحوّل من اللابذل إلى البذل. فكان فخرها فخرا ببذل الرّجل. وكانت الشاعرة خارج دائرة الفعل غريبة عنه. ولئن كانت حبيبة التغلبيّة قد أتت فعل البذل من تلقاء ذاتها، وأقسمت بأغلظ الأيمان أنّ الكرم جبلة فيها، فإنّ محاكاة الأصل المذكّر لم تنتف. وظلّ الذكور أطيافا حاضرة في المقطّعة تشهد على ذكورة فعل الكرم، وعلى وراثة متلازمة بين الذكورة والبذل. كذلك: [الكامل]

وصّى به جدّي وعلمني أبي نفض الوعاء وكلّ زاد ينفد

ولذلك فإنّ هاتين المقطّعتين في الفخر بالكرم، وإن تميّزتا من حيث تبنّيهما لفعل البذل البطوليّ، على اختلاف انخراط المفتخرتين، فإنّ لحوق قيمة الكرم عامّة، وفعل البذل خاصّة بالشعراء، يؤكّد تأصل قيمة

1- الطائي (أبو تمام)، ديوان الحماسة، مرجع سابق، 2/1727.

2- المرجع نفسه، 2/1635-1636. المرزباني (محمّد)، أشعار النساء، مرجع سابق، ص 103-104.

3- اللسان، 37/1، مادة [أ، ب، ل]: "أبل الرّجل... وأبل: كثر إبله".

- المتاعي (مبروك)، الشعر والمال بحث في آليات الإبداع الشعريّ عند العرب من الجاهليّة إلى نهاية القرن 3هـ، منشورات كليّة الآداب متّوبة، 1998، ص 22: "المال" كلمة عامة جامعة تعني عموم الملك، ولكّنها تختصر في الاستعمال الجاهليّ في الإبل".

4- اللسان، 45/13، مادة [م، ر، أ]: "طعام مريء هنيء حميد المغبّة بيّن المرأة... ويقال مرآني الطعام وامرآني إذا لم يتقل على المعدة وانحدر عنها طيبًا"

الكرم وفعل البذل ضمن معايير مذكرة. الأمر الذي يجعل من فخر الشواعر بها استلاباً ومحاكاة من درجة ثانية.

3-2- الألفة بديل الاغتراب:

لئن بدا تليظ الذات المذكرة تليظاً ظلله الحضور الذكوريّ باحتكاره النسب والحرب والكرم فإنّ في فخريات الشواعر قسماً تغادر فيه الشاعرة العتمة. وتسلّط أضواء من الخطاب على ذاتها. فتنبجس صور مغايرة. غادرها الاغتراب إلى حين. فتعقد علاقات مختلفة مع الآخر. فقد توقّر فخر النساء على قليل من النتف والقطع انخرطت في إحلال الألفة محلّ الاغتراب. ولاحت الألفة في مستويين. وسمناهما بألفة الفتنة وألفة المتعة. فعند الشواعر طريف من الفخر دار على معنى الجمال وحوزه. جعلناه ألفة للفتنة. وقسيم آخر أتى على معنى البذل في سبيل الخمرة. جعلناه ألفة للمتعة.

أ- في ألفة الفتنة:

لئن تراوح نظم الشاعرة في هذا المعنى بين البيت الواحد والأربعة أبيات، فقد بدا الافتخار بالفتنة المعنى الفخريّ الأكثر لصوقاً بالذات الشاعرة المؤنثة. ليس ذلك لأننا ننظر إليها بعين انتمائها إلى خانة الإناث.¹ وإنّما لأنّ الأبيات المتغنيّة بمعنيي الفتنة والجمال وردت كلّها بلسان تبتى ضمير المتكلّم الأنا. والتزم به. فأحدثت الشاعرة بذلك أعلى درجات التطابق التي أتاحتها اللّغة. وحققت أوضح تلاقٍ ممكن بين الذات المتلفظة ساكنة النّصّ والذات المتكلّمة القابضة خارجه.²

وواضح أنّ الشاعرة تعلن عبر هذا الاختيار اللغويّ-الفنيّ تماهياً بين الذاتين. يحقّق صورة بها استحققت الفخر. فكانت موضوعاً له وبه انفردت. ممّا رشّح هذا المعنى الفخريّ لأن يكون معنى مؤنثاً خالصاً. إذ هو معنى ذاتيّ وفيّ لصاحبه وبها لصيق. ولعلنا نرصد أولى علامات الألفة من خلال حضور جليّ لأصل مؤنث يستنفر رصيذاً هويّاً رمزياً فُصر على النساء.

ذلك أنّ الشاعرة تنخرط ضرورة في آليّة تماهٍ مع مثل وصور لا تفارق الرصيد المشترك للقوم. والشاعرة المفتخرة تُخرج هويّها إخراجاً لغويّاً. وتلفظها عبر محاورّة معايير ثقافيّة حصّلتها بالانتماء إلى الجماعة. ونشير إلى آليتين حضرتا في مسار تماهٍ مع أصل مؤنث. جلاهما بوضوح فخر كلّ من سلمى بنت القراطيسيّ³ وصفيّة البغدادية⁴. فنقف على مسارين في إنشاء الذات المؤنثة. وحدهما منطلق في التماهي تمازيت آليّاته. فقد

1- المرجع نفسه، 168/1، مادة [أ، ن، ث]: "يقال هذه امرأة أنثى إذا ما مُدحت بأنّها كاملة من النساء".

2- Benveniste (Emile), Problèmes de linguistique générale I, Tunis, Editions CERES, 1995, Chapitre: De la subjectivité dans le langage, pp257-265.

3- كخّالة (عمر)، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ط5، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1984، 240/2 و251/2: تذكر باسمين، سلمى البغدادية وسلمى بنت القراطيسي: "شاعرة ذكرها القاضي أبو العلاء محمّد بن محمود النيسابوري في كتاب سرّ السّرور الذي جمعه في الشعراء عصره".

4- المرجع نفسه، 332/2: "صفية البغدادية شاعرة قال ابن لنجّار ذكرها أبو العلاء محمد بن محمود النيسابوري قاضي غزنة في كتابه سرّ السّرور الذي جمع فيه أخبار شعراء عصره".

تأسس التماهي في مسار أول على آلية تكثيف مبدؤه الوحده. في حين تحقق في مسار ثان وفق آلية من التكثيف مبدؤه التشظي.

❖ تكثيف الوحده:

ذلك أن الشاعرة استحضرت معنى المرأة-الفتنة في كليته. واتخذته أصلا تمثيلا. انخرطت بموجبه في التطابق معه ومطابقة الفتنة. فلبست لبوسها. وحلت فيها. حلول حقق الذات وأعتقها من ربة ذنب متوارث لتتصلح الشاعرة المفتخرة مع قوّة شيطانية الفعل. وتنشأ الذات. وتُنشئ علاقة بالآخر-الذكر جديدة. فيها تهديد لذيذ. وفيه التذاذ بنصر مؤكّد. تكثيف استهاميّ انفردت صفة البغدادية به، حين قالت: [الكامل]

أنا فتنة الدنيا التي فتنت الحجا كلّ القلوب فكلمها في مغرم
أترى محيّي البديع جماله وتظنّ يا هذا أنك تسلم¹

وبفضل مبدأ الوحده استطاعت الشاعرة استعادة وحده أولى باستعادة أول لقاء. استعادة فيها تكثيف إنسانيّ، حيث اللقاء لقاء وجه وجهها، وحيث اللقاء لقاء وجه مؤنث وجهها مذكرا. إنها العودة إلى لقاء "أصلي" أو إلى "أصل" اللقاء. استعادة لضدية مؤسّسة. فيها الأنوثة الضديد الأمثل للذكورة.

فيضحي اللقاء بالآخر لقاء منشئا للذات ومنشئا للآخر. لذلك كان الوجه محيا جميلا. الجمال فيه عصارة الأنوثة واختصار لها. ولذلك كان لقاء الآخر لقاء الذكر، ولقاء العقل. فكانت الشاعرة "فتنة حجا كلّ القلوب".

إنه الحضور الأنثويّ المتجدّر في المادية، مادية الجمال وضعفه وهشاشته. وهو الحضور الأنثويّ المناقض للعقل المانع من الفساد والهلاك والتردي. وليس اللقاء وجه-وجه إلا ارتشافا للقاء الجسد بالجسد، وإنباء عن اختلال الأنا العاقلة المذكرة، وشلل قدراتها. فلا تسلم.

❖ تكثيف التشظي:

في مسار ثان من التماهي حكمه التشظي. حققت المتلقظة صورة الأنثى الفاتنة. فجزأت الجمال فيها. وجعلته عيونا وأجيادا ونحورا ونهودا وأردافا. قدت الجسد المؤنث قدا. فانثرت الفتنة. وتشتت أهبها في قلب مقصود لعقود المشابهة. تجاوزت بموجبه الشاعرة إيغالا في تملك الجمال الى انبعاث طقوسيّ انبجست منه الأنثى فاتنة، وقد التأمّت العناصر الجميلة التئاما عجيبا. وأنشأت مخلوقا مؤنثا خارقا، هو صورة للفاتنة الأصل الأمّ الكبرى مانحة الحياة مخلوقات الأرض. فشهد الجمال المعلم على الجسد على انشداد أسبق إلى الجسد الأمّ. ومهد ذكر الفداء في مطلع المقطعة إلى استعادة طقوسية. هي عودة إلى الأصل الأموميّ، مثال استهاميّ، يجمع شتات الجسد المقدود ويرفع وحشة الاغتراب ويجعل الشاعرة تأنس بالفخر بشبيبتها أو بمن أرادت التشبه بها، فأنشدت: [الوافر]

1- السيوطي (جلال الدين)، نزهة الجلساء في أشعار النساء، تحقيق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، دت، ص 57.

عيون مها الصَّريم فداءً عيني وأجبادُ الظباء فداءً جيدي
 أزيّنُ بالعقودِ وإنَّ نحري لأزيّنُ للعقود من العقودِ
 ولا أشكو من الأرداف ثقلاً وقد يشكون من ثقل التهودِ
 ولو جاورتُ في بلدٍ ثموداً لما نزل البلاء على ثمود¹

ونلفي هذا الافتخار بالجمال والاشتغال على إيتوس الذات الفاتنة معنى أتى عليه عدد من الشواعر. إذ وجداناه حاضرا عند ولادة بنت المستكفي مثلاً²، وعند بعض النساء النكرات³. وإن بدا لنا أنّ المنافرة بحوز الجمال تحتاج سياقاً اجتماعياً يستسيغها. وتقتضي حساسيةً جندريةً تصوغ التأنيث معنى شعرياً. هو معنى وجود ورؤية للذات.

ب- في ألفة المتعة:

من التلميح إلى المتعة إلى التصريح بها، كان الانتقال من ألفة الفتنة إلى ألفة المتعة. ونحن ندرك أنّ الفتنة بالمتعة موصولة. بيد أنّ المتعة الصريحة أطرف من امرأة وأجراً، أو هكذا تبدو. فبعض الأبيات المنسوبة للمرأة الشاعرة قديماً تضع محلّ سؤال تفرد الشاعرة بمعاقرة الخمرة والقول فيها⁴. ويمكن أن نميّز باحتراز شديد اتجاهين في شعر النساء الدائر على الخمرة. "اتّجاه" لاحق مثلته عليّة بنت المهديّ، و"اتّجاه" سابق أقرب إلى العفوية مثلته امرأتان. هما أمّ حكيم بنت يحيى⁵ وعبلة بنت خالد التميمية⁶. وبدا الاتّجاه الأسبق بعفويته وانفلاته أقدر على تصوير ملمح ذاتي مخصوص في شعر النساء في هذا المعنى الشعريّ. أولاً لأنّه بدا ألصق بالتغني بالخمرة باعتباره معنى فخرياً يسم علاقة الشاعرة-المرأة بمجتمعها.

- 1- السيوطي (جلال الدين)، مرجع سابق، ق 52. المقري (أحمد)، نفع الطيب من غصن الأندلس الأريب، تحقيق إحسان عباس، دار صخر، لبنان، 1968، 178/4. منصور (جميل) معجم شاعرات العرب، مرجع سابق، 428/1.
- 2- الزركلي (خير الدين)، الأعلام، مرجع سابق، 118/8: "ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الأمويّ، شاعرة أندلسية، توفيت 484هـ/1091م).
- 3- ابن طيفور (أحمد)، بلاغات النساء، مرجع سابق، ص 151-152.
- 4- انظر: الأصفهاني (أبو الفرج)، مرجع سابق، 189/16. الألويسي (محمود)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، ط 2، المكتبة الأهلية، مصر، 1924-1925.
- 5- الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، مرجع سابق، 186/16: "أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ابن عبد شمس". ونشير أولاً: إلى وجود أكثر من شاعرة تكتّى بأمة حكيم، من بينهنّ: البيضاء بنت عبد المطلب وجويرية بنت القارظ وصاحبة القطريّ بن الفجاءة. وثانياً: إلى أنّ كلّ من البيضاء وجويرية انتميتا إلى التقليد الرثائيّ النسائيّ. في حين أنّ أمّ حكيم الخارجية خالفتها وعبرت عن وعي مؤنث مخصوص. اخترنا عدم التعرّض له لأنّه أمانة اغتراب عن الجسد المؤنث ووعي مؤرّق به. ليس هذا مجاله وإن كان به موصولاً. انظر شعر الخوارج، عباس إحسان، ط 2، دار الثقافة، لبنان، 1974، ص 128-129-133-134.
- 6- كخاله (رضا)، أعلام النساء، مرجع سابق، 242/3: "عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل، أمّ جاهلية كانت زوجة لعبد شمس بن عبد مناف القرشيّ وبنوه منها يقال لهم العبلات. وهم ثلاثة بطون: أمية وعبد أمية ونوفل". الزركلي (خير الدين)، الأعلام، مرجع سابق، 188/4: "عبلة بنت عبيد بن نافل بن قيس من بني زيد مناة من تميم".

ثانياً لأن معرفتنا بعليّة بنت المهديّ انتماء اجتماعياً وتاريخياً يجعل شعرها الخمرىّ محصّناً أغراضياً واجتماعياً.¹

❖ متعة الإقبال على الخمرة:

تنطلق المرأة المفتخرة من رصيد المعاني المشتركة. فتفتخر بمعان تقوّمت عليها الخمرية لاحقاً. فالتصريح بالإقبال على الخمرة، وطلب الاستزادة منها، معان أتى عليها الشعراء مفتخرين بمعاقرة الخمرة. فيعلو صوت الشاعرة شريكا في اللذة: [الطويل]

ألا فاسقياني من شرابكما الوزدي إن كنتُ قد أنفدْتُ فاسترُ هنا بُردي
سوارى ودملجى وما ملكتُ يدي مباحٌ لكمُ نهبٌ فلا تقطعوا وِزدي²

وتأتي الشاعرة على كرم موصول بالخمرة. فتتفاخر بالبذل في سبيلها. ومن هذا المعنى المتأصل في الفخر الذكورىّ وخمرياته لاحقاً ينبجس معنيان وسمهما تأنيث الذات المفتخرة:

تمثّل المعنى الأوّل في التنازل عن علامات ثقافية تؤمّسّر على التأنيث وتعزّزه. هما السوار والدملج. عنهما تتنازل الذات المتلفظة. ومنهما تتحرّر. وتستبدل تأنيثاً ثقافياً، موضعه الأوّل منها اليد، باستقبال اللذة باليد. بل هي توسّع دائرة البذل لتجعلها تنازلاً مطلقاً عمّا تملك. نهبٌ تبيحه. ولا تبيع قطع وردها. في إقبال على اللذة واستقبال لها، تتوحد الذات المتلفظة مع متعة الذات المتكلمة. وتحوّل المتعة، من إمتاع للعين الناظرة إلى الحليّ توزّع على الجسد المؤنث، إلى إمتاع الذات ذاتها بمتعة تستقرّ في الجسد أنا. فتقطع مع نظام سيميائي المرأة فيه علامة ودلالة لتنتقل إلى نظام ثان من الفعل والتجريب.

❖ متعة تحديّ السلطة الذكورية:

ونقف على المعنى الثاني في بيتين لشاعرة تدعى عبلة التميمية. حيث بدت ذاتا تجاوزت الجرأة إلى التجرؤ على السلطة الذكورية في أجلي حضور لها. سلطة ذكورية ممثلة في الزوج صاحب الملك والجسد. تجرؤ أفرغت عبره السلطة الذكورية من سلطتها، بعد أن استحضرتها الذات المتلفظة. ووسّعت دائرتها لتوسّع من انتهاكها، متدرّجة من الراحلتين، فالزوج مالكهما، ثمّ ابن أخيه، قفا الزوج والبعض المذكّر بحضوره وسلطته. تقول: [المتقارب]

شربتُ براحتي محجن فيا ويلتي محجنُ قاتلي
وبابن أخيه على لذّةٍ ولم أحتفل عُذلة العاذل³

1- Anne Revillard, Laure de Verdalle, « Faire » le genre, la race et la classe, introduction à la traduction de «Doing Diference», dans Terrains e-travaux, 2006/1, n°10, p-p:91-102, <https://www.cairn.info/revue-terrains-et-travaux-2006-1-page-91.htm>.

2- الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، مرجع سابق، 186/16.

3- المرجع نفسه، 148/1.

تتوحد الذات المؤنثة مع ضميرها المتكلم "أنا". فتحدث تماهيا لغويًا صادقًا. وتجعل من ذاتها قطب الخطاب. تُوزع المخاطبات وفق موقعها منه. لذلك تركز اسم الزوج، تقريبا وتبعيدا، كلما احتاجت إلى التذكير بما انتهكت من ملكه وسلطته وعقابه.

معنى يتعزز إذا استدعينا دلالة المحجن على العصا المعقفة الشبيهة بالصولجان.¹ وتذكرنا دور العصا-الصولجان في مسرحة السلطة واستعادتها.² لذلك يحلّ الزوج محلّ غيريّة، وقد أحدثت اللذة المسافة الضرورية لهذا التبعيد. فألحقته بالآخر العاذل المطلق ومطلق المنع.

4- الاغتراب في المستوى القيمي:

كنّا رصنا في فخر الشواعر القديم اغترابا. وتبيننا دورانه على فعليّ إماتة وإحياء، نسبا وحربا وإطعاما، في سياق ثقافيّ مخصوص. وإن كان من المسلمّ به أنّ عالم الأفراد، عائد إلى قيم مشتركة تنظمه وتضفي المعقولية على أفعال الأفراد وأقوالهم. فإنّ الفخر من هذه الزاوية فرصة تتيحها الجماعة لمن فوّضت من المنتمين إليها للانتشاء بعرض الذات وتلفيظها، سواء كانت ذاتا فردية أو جمعيّة.

بيد أنّه لا يمكن لهذا العرض أن يستقيم ولا لذلك الانتشاء أن يكون دون تمثّل للقيم الجماعية واستجابة إليها بشكل من الأشكال. الأمر الذي يجعل من قيم الجماعة المنتهى إليها قيما غيريّة بالنسبة لأفرادها يستوي في ذلك الشعراء والشواعر. إلا أنّ القيم المتغنى بها في شعر الشواعر والغالبية على مقطعاتهن قيم تعمق الاغتراب وتؤصله، حين كانت لقيم الذكورة أقرب ولمقومات الفتوة أوفى. إذ تقوّمت المعيارية الثقافية العربية القديمة على تصوّر يرى المروءة متحققة عن تحصيل للشجاعة والكرم معا. فهما النواة القيميّة لنموذج الرجل الكامل. وهي مروءة موجّهة أساسا للذكور من المجتمع.³

فارتبط الغزو بالفروسيّة واقتربت الصحراء بالكرم ممّا شرّع التغنى بالفتوة. وبذلك اختصرت هذه القيم جملة المعايير المرتبطة بالواقع المعيش ورمت بظلالها على النشاط الإبداعيّ ممثلا في الفخر، في ما نحن فيه. حال هذا الأمر دون تملك الشواعر المفتخرات لهذه القيم. وجعلنا نعاين مسافة بين الذات المؤنثة المفتخرة وبين القيم المفتخر بها. فالانتساب إلى الذكور والاقتران في الحرب وإطعام المستنبح والطّارق قيم تؤسّس الذكورة وتخصّ الذكور من الجماعة.

نتيجة لذلك وقفت الشاعرة على هامش تلك القيم. وافتخرت برجال القبيلة المنتصرين. وأشادت بكرمهم ورفعة محتدهم. وجعلت من فخرها صرحا من المجد المذكّر. فهذه القيم بتبئيرها على الذكورة وتوجّهها إلى المثال المذكّر أساسا، أقصت الشواعر عن فلكها. وجعلت واقفات على تخوم الذكورة مشاهدات لها وبها معجبات ضرورة.

1- ابن منظور، اللسان، مرجع سابق، 47/4-48، مادة [ح، ج، ن].

2- الجاحظ (عمرو)، البيان والتبيين، ط7، مصر، مكتبة الخانجي، 1998، 5/3، [كتاب العصا].

3- الجبوري (يحيى)، الشعر الجاهليّ خصائصه وفنونه، ط5، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1986، ص302: "دارت قصائد الفخر على الشجاعة والبأس والنجدة ومنع الجارات وإجارة المولى وإطعام الفقراء وإكرام الضيف وبذل المال وإيثار الآخرين".

ولئن بدت الألفة بديل الاغتراب فإنّ إنعام النَّظر في المعايير التي تأسّس عليها الجمال المؤنّث المفتخر به يدفعنا إلى تنسيب حكمنا. ذلك أنّ معايير الجمال المستدعاة في فخر بعض الشواعر هي المعايير عينها التي بأرّ عليها الشعراء وبها تغنّوا ومن عنفها اشتكوا.

فيضحي التوافق حول معايير الجمال المؤنّث مظهرا ثانيا من مظهرات الاغتراب القيميّ، وقد انجلت غيريّة معايير الجمال وغيريّة مثال الأنوثة. بل لعلّ العودة إلى هذه المعايير الغيريّة في الجمال المؤنّث تشهد على تأسيسها للأنوثة بعين الذكورة. فقدت مثال الجمال مراعية المتعة المذكّرة. فثمّنت مواضع اللذة من الجسد المؤنّث.

5- الخاتمة:

سعيانا إلى تبين علاقة مفترضة بين فخر الشواعر وبين الشواعر، باعتبارهنّ ذواتا اجتماعيّة متنزلات في سياق ثقافيّ مخصوص. فبدا لنا تعالق بين النّصّ الفخريّ وصاحبته. تجاوز نسبة حفظها الرواة إلى تأنيث انغرز في جسد النّصّ شاهدا على تأنيث المنشدة له. ويمكن أن نجمل النتائج المتوصّل إليها في النقاط التالية:

- إنّ قسما هاما من فخر الشواعر انضوى ضمن ما عرف بـ "الفخر القبليّ". وعبر عن انتماء الشاعرة إلى تنظيم اجتماعيّ مشترك، القبيلة، فوّض الشاعرة في من فوّض للتفاخر برصيد رمزيّ للجماعة المنتهى إليها. فلم يخل هذا القسم الفخريّ من ذاتيّة يشرّعها الدم المشترك والأرومة الواحدة. حتّى رأت الشاعرة المفاخرة بانتصارات قومها، مثلها مثل الشاعر المفاخر، ذاتها بعضا من ذات القبيلة وربّما كلّها.

- إنّ التزام الشاعرة بالدور الرمزيّ الذي فوّضت له اقتضى التزاما بمشترك قيميّ وفعل بطوليّ مثلهما متصوّر الفتوة في القديم. ترتّب عنه اغتراب الشاعرة عن أفعال عادة ما يأتيها الذكور، ويتغنّى بها الشعراء في الغالب الأعمّ. فكان الاغتراب أمانة تأنيث، ووجهها من وجوه ذاتيّة مؤنّثة. فقد شهدت هذه الفخريات على موقع مختلف منه نطقت الشاعرة. أقلّ ما يقال عنه أنّه موقع يُحدث تبعيّدا مخصوصا بين الشاعرة، باعتبارها ذاتا مؤنّثة، وبين الأفعال المفتخر بها، باعتبارها أفعال ذكورة حقّقها الفرسان من قومها.

- إنّ المفاخرة نشاط تخييليّ أداته اللّغة ومادّته رصيد المعاني المتعاورة بين الشعراء والشواعر. وإنّ تلك المعاني منشدة إلى معايير إبداعيّة وسنن شعريّة ليست بمعزل عن معايير المجتمع وقيمه. وإنّ معيار الغيريّة الجنسيّة معيار يساهم في عقلنة الداوت الاجتماعيّة باعتبارها إمّا ذكورا وإمّا إناثا. الأمر الذي جعل المعطى الجنديّ حاضرا في الخطاب الفخريّ واسما النّصّ بميسم التأنيث أو التذكير، سواء بسواء. وهو ما سمح بتجلّ لذاتيّة مؤنّثة، في الفخر، سمتها الاغتراب طورا والألفة طورا آخر.

المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- 1- ابن الأثير (علي)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2012.
- 2- الأصمعيّ (أبو سعيد)، الأصمعيّات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، لبنان، دت.
- 3- الألوّسي (محمود شكري)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، المكتبة الأهلية، مصر، 1924-1925.
- 4- بابتي (عزيزة فوال)، معجم الشعراء الجاهليين، دار صادر، بيروت، لبنان، 1998.
- 5- بورديو (بيار)، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، مراجعة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة بيروت، لبنان، 2009.
- 6- الجاحظ (عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1998.
- 7- الجبوري (يحيى)، الشعر الجاهليّ خصائصه وفنونه، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986.
- 8- الجزار (محمد فكري)، معجم الواد النزعة الذكوريّة في المعجم العربيّ (في تحليل الخطاب المعجمي)، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2002.
- 9- الجمعي (ابن سلام)، طبقات الشعراء، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2001.
- 10- الحوفي (أحمد محمد)، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دت.
- 11- الحيايالي (ليلى محمّد ناظم)، معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1999.
- 12- خليف (مي يوسف)، الشعر النسائيّ في أدبنا القديم، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، دت.
- 13- ديوان الخرنق، تحقيق واضح الصمد، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995.
- 14- ديوان شعراء بني كلب بن وبرة أخبارهم وأشعارهم في الجاهليّة والإسلام، محمد شفيق البيطار، دار صادر، بيروت، لبنان، 2002.
- 15- ديوان امرئ القيس، تحقيق حتّا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1949.
- 16- الزركلي (خير الدين)، الأعلام قاموس تراجم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002.
- 17- ابن سلامة (رجاء)، العشق والكتابة قراءة في الموروث، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، 2003.
- 18- السيوطي (جلال الدين)، نزهة الجلساء في أشعار النساء، تحقيق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت.

- 19- شعراء بني عقيل وشعرهم في الجاهليّة والإسلام حتّى آخر العصر الأمويّ، جمع وتحقيق عبد العزيز بن محمد الفيصل، دار النشر العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، السعويّة، 1985.
- 20- شعر بني تميم، جمع وتحقيق عبد الحميد محمود المعيني، منشورات نادي القصص الأدبيّ، 1982،
- 21- شمس الدين (إبراهيم)، مجموع أيّام العرب في الجاهليّة والإسلام، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2002.
- 22- الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني تحقيق، إحسان عبّاس، إبراهيم السعافين، بكر عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان، 2008.
- 23- الضبيّ (المفضّل)، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، بيروت، لبنان، دت.
- 24- الطائي (أبو تمام)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991.
- 25- كتاب الوحشيات، تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1963.
- 26- ابن طيفور (أحمد)، كتاب بلاغات النساء، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، مصر، 1908، ص 182.
- 27- عبد السلام (محمد)، الموت في الشعر العربي، ترجمة مبروك المناعي، مراجعة حمّادي صمّود، معهد تونس للترجمة، تونس، 2017.
- 28- قرامي (آمال)، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007.
- 29- القيرواني (ابن رشيق)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1988.
- 30- كحّالة (عمر رضا)، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان 1984.
- 31- المبرّد (أبو العباس)، التعازي والمرثي والمواعظ والوصايا، تحقيق محمد حسن الجمل، مراجعة محمود سالم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دت.
- 32- المرزباني (محمد بن عمران)، أشعار النساء، تحقيق سامي مكي العاني وهلال ناجي، دار عالم الكتب، مصر، 1995.
- 33- المسعودي (أبو الحسن بن علي)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسين مرعي، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 2005.
- 34- المقري (أحمد بن محمّد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الأريب، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968.
- 35- المناعي (مبروك)، الشعر والمال بحث في آليات الإبداع الشعريّ عند العرب من الجاهليّة إلى نهاية القرن 3هـ، منشورات كليّة الآداب، منوبة، تونس، 1998.

- 36- منصور (جميل)، معجم شاعرات العرب، دار البشائر، دمشق، سورية، 2010.
- 37- ابن منظور (محمد)، اللسان، دار صادر، بيروت، لبنان، دت.
- 38- الواقديّ (محمد بن عمر)، فتوح الشام، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1997.

باللغة الفرنسية:

- 1- Anne Revillard, Laure de Verdalle, « Faire » le genre, la race et la classe, introduction à la traduction de « Doing Diference », dans Terrains e- travaux, 2006/1, n°10. <https://www.cairn.info/revue-terrains-et-travaux-2006-1-page-91.htm>. - Benveniste (Emile), Problèmes de linguistique générale I, Editions CERES, Tunis, 1995. - Bourdieu (Pierre), Le sens pratique, Les éditions de Minuit, Paris, 1980.